

الإسلام حضارة وتاريخ

الدكتور عبد الحليم بوزيد*

إنَّ الإسلام له تاريخ قائم في هذه الأمة إلى يوم الدين، إلاَّ أن تاريخ حضارتهم لم يكتب بعد، أو أنه كتب بأساليب أخرى.

ويشير صاحب هذا الرأي إلى تفسخ الأخلاق في المجتمعات العربية والإسلامية، وعدم إقبال الشباب فيها إلى دراسة تاريخية، ومعرفة ماضيه، والافتداء بأسلافه في المحافظة على روح العبادة وأعمالها، ويستدل بهذه المظاهر على تأثر الشباب المسلم بكون التاريخ الإسلامي لم يكتب بعد ولم يترجم إلى باقي الشعوب.

وقد صدق صاحب هذا الرأي فيما تحدث عنه من مظاهر الانحراف في المجتمعات الإسلامية، وكان حديثه بذلك ينم عن غيرة وحسرة تشكران له كما كان الحديث نفسه يحمل بين كلماته الروائع استغاثة واستصراخا يدلان على إحساس بالنكبة، وشعور بالمسؤولية الفكرية، واهتمام بواجب النجدة في الحضارة الغربية.

*. أستاذ بكلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة باتنة.

وسأشير بإيجاز إلى بعض الأساليب والعوامل التي تدل دلالة واضحة على عكس ذلك الرأي، وتثبت أن تاريخنا لم يقرأ بعد، وأنه مدون مكتوب بأقلام طاهرة.

أولاً : إن القول بأن تاريخنا لا يستطيع الجيل الناشئ أو الصاعد أن يقرأه لقدم أساليبه وغرابة معانيه، وصفرة كتبه وأوراقه التي كتب عليها، وسوء تربية. سيدحض هذا الزعم أن تاريخ العروبة المسلمة قد أعيدت كتابته بلغة العصر الحديث وأسلوبه منذ سنوات عديدة مضت ممثلة في مؤلفات ابن خلدون، وابن باديس، والبشير الإبراهيمي، والتوفيق المدني أمثالهم ممن وضعوا أحسن الكتب عن التفسير، الحديث، التشريع، التاريخ السياسي، النظريات الاقتصادية الإسلامية، وعن الدراسات المقارنة بين الفكر الإسلامي والفكر العربي الحديث... بحيث لم تعد حجة المنذرين "بالكتب الصفراء" القديمة... قائمة كما يزعمون.

ونضيف إلى ذلك المجلات الشهرية الحديثة التي تصدر في العالم الإسلامي ويعرض كتابها (تاريخنا) بكل فنونه العلمية والتشريعية والتربوية والأخلاقية والفكرية عرضاً جديداً بأسلوب شائق مفهوم - المسلمون وحضارة الإسلام - والبعث الإسلامي - والرابط - ولواء الإسلام - والمجتمع - ودعوة الأخوة - والتضامن الإسلامي - والفكر الإسلامي - ومجلة الأصالة وهي كافية كل الكفاية في إقناع الشباب الإسلامي بقيمة التراث العظيم الذي خلفه العرب والمسلمون من معارف ومبادئ وثقافات سبقت كما أسلفنا معارف الغرب ومبادئه وثقافته، واعتمد الغرب عليها في سيرة العلم، وتطوره الفكري، وتقدمه الحضاري كما هو الآن يعترف بذلك.

ونذكر إلى جانب الكتب والمجلات الحديثة التي عرضت التاريخ الإسلامي عرضاً جديداً، ميسور الفهم : المقررات المدرسية في العلوم العربية والأحداث التاريخية.. فهي الأخرى قد ساهمت في تقريب التاريخ الإسلامي، وتيسير فهمه، والتشويق إلى مطالعته ودراسته.

ثانياً : إن تاريخنا مدوّن ومكتوب في مطولات ومختصرات لكل منه فائدها ونفعها، ولها قراؤها الباحثون الدارسون على مهل وتفكير واستنباط، والمستعجلون المكتفون بالاعتماد على الغابرين، الملتمسون للاستدلال بأرائهم ونظرياتهم.

ثالثاً : إن إحجام الشباب والطلاب أو حتى الشيوخ والكهول عن قراءة تاريخنا والانتعاض به والانفعال بوحيه وهديه، ليس حجة على الرداءة في كتابة التاريخ أو صياغته، أو أنه غير كامل أو غير واضح وأنه محتاج إلى كتابة جديدة.. فقد أسلفنا أن تاريخنا مدوّن ومكتوب في المطولات والمختصرات من ناحية، ومن ناحية أخرى قد عرضه الكتاب المحدثون عرضاً جديداً مع التحقيق والتصحيح والطبع الأنيق، ونشرته دور الطباعة في العالم العربي كله، وخاصة في القاهرة وبيروت.

رابعاً : إن الإحجام عن قراءة التاريخ الإسلامي هو نتيجة لتصرفات مؤسفة صنعها المسلمون أنفسهم وخلقوها بأيديهم.. إذ لم يوجه الآباء والمربون والمعلمون اهتمامهم المخلص إلى توعية الطلاب تاريخياً، وإغرائهم بقراءة تاريخهم ومراجعة تراثهم الحضاري، وحملهم تلقائياً على الانفعال بالأعاجيد الإسلامية السالفة... حتى انصرفوا إلى ملء فراغاتهم الطويلة العريضة بالاستماع إلى الإذاعات ومشاهدة التلفازات التي تنقل الخير والشر، ومطالعة الصحف والكتب التي تروي قصص الجنس، وتنشر صورته، وتحرض على ممارسة تجاربه.

خامسا : إن وزارات التربية والتعليم والإعلام في البلاد الإسلامية عامة ليست بريئة من مسؤولياتها عن توجيه الشباب والطلاب إلى دراسة تاريخهم، والانفعال بأمجاده والمحافظة على تقاليده وآدابه بل هي ساهمت في هذا الهبوط.

سادسا : إن الآباء في بيوتهم مسؤولون بصفة خاصة عن تربية أبنائهم تربية إسلامية تمنحهم شخصية إنسانية مستقلة لا تذوب في تقاليد الشعوب الأجنبية الأخرى، ولا تتميع في اتجاهاتها الفكرية والاجتماعية. ولعلنا لم ننس وصايا الرسول ﷺ : "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"¹.

والتوجيه النبوي الآخر : "مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر"²، فالآباء وأولياء أمور الطلاب والشباب - لا التاريخ المتهم البريء - هم المسؤولون عن إهمال الجيل الناشئ أو الصاعد كما يسمونه تجاوزاً أو تفواؤلاً - لكل تقاليده الدينية والقومية، وجهله بالتراث الفكري والحضاري للإسلام. وهم أولئك الآباء وأولياء الأمور مطالبون بالوقت بأن يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم وبناتهم، فإن الأطفال يتأثرون بالأسوة العملية في ساداتهم وكبرائهم أكثر مما يفعلون بما يقرأ عقلمهم أو يكتب لهم، أو ينصحون به.

سابعا : إن أوروبا في عصورها المظلمة (الوسطى) قد اقتبست من تاريخنا وهو لم يكتب بعد كما هو الآن، وانتفعت بحضارتنا العربية الإسلامية، ونقلت علومها وفنونها وآدابها ونظرياتها الأخلاقية والحرية والسلمية. كما يعترف بذلك كثير من المفكرين والمؤرخين الغربيين أنفسهم³.

1. رواه البخاري، م 3، ص. 113.

2. رواه الإمام أحمد، سند الإمام أحمد، م 1، ص. 14.

3. أمثال جوستاف لوبون، وحاك ويزلر، و سيدوللو وغيرهم.

فكيف يقال أن تاريخنا لم يُكتب بعد ؟ الواقع أننا نحن مسؤولون عن عدم انفعال شبابنا بتاريخنا العظيم. ومثلنا في إلقاء التبعة على (التاريخ) واتهامه بالعجز والتقصير كما قال الشاعر الحكيم :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب.. سوانا

أمثلة وأدلة على سبقنا الحضاري

وأعود إلى الدافع الذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، وهو انصراف الجيل المسلم الناشئ عن معرفة التاريخ الإسلامي، بكل مجالاته وفنونه التشريعية والاجتماعية والفكرية والعلمية، ثم اهتمامه بأفكار الغير وآدابه ونظرياته واعتناقه لها وتغنيه بها، دون إدراك منه أو وعي بأن المسلمون هم السابقون إلى هذه الأفكار والآداب والنظريات وإلى ما هو خير منها ودافع آخر الهجمة الاستعمارية بعد أحداث 11 سبتمبر بعد احتلال أفغانستان والعراق إلخ...

في مجال علم النفس

ولقد ظهرت في الغرب حديثا نظرية (القيم) في علم النفس، وصاحب هذه النظرية هو العالم النفساني (بيير) وهي باختصار نظرية تقوم على أساس الوعي بالقيمة التي يتأثر بها سلوك الفرد، أي أن "القيمة" هي علة السلوك عند الإنسان وليس الجنس، كما ذهبت إلى ذلك خطأ نظرية فرويد.

وعلى هذا المفهوم القيم يكون مصدر السلوك عند الفرد إنسانياً وليس طبعياً. ويضرب شراح هذه النظرية مثلاً عليها : "المفكرة" الذي يجوع ويرتدي الثياب الرديئة ليشتري بما معه من مال كتاباً يقرأها وينتفع بها

علمًا وفهمًا، ويعلقون على ذلك لأن قيمة العلم عند رجال الفكر أعظم من الأكل الهانئ والثوب الأنيق.

بعد فراغي من دراسة هذه النظرية العلمية الحديثة التي ردت للإنسان كرامته وحقيقة نفسه العاقلة.. وبعد أن أهاثها فرويد حين ألصقها بالتراب، ولوثها بالجنس الحيواني، ونسب إليه كل سلوكها وتصرفاتها وأطماعها.

أقول بعد انتهائي من مطالعة بحث مطوّل في نظرية القيم هذه تداعت المعاني في ذهني، وتتابعت الذكريات لما قد أنسيته من أقوال وأمثال عربية وإسلامية حملت معنى نظرية القيم التي طلع بها الآن العالم النفساني (بيير).

أجل، حملت الأقوال والأمثال العربية والإسلامية هذا المعنى بأسلوب تصويري رائع، يحمل القارئ أو السامع على التأثر والانفعال بالمبدأ الشريف أو الخلق الإنساني السامي، الذي ينطوي عليه أو يدعو إليه.

فالمثل العربي المعروف "تجوع الحرة ولا تأكل بثديها" يعني في وضوح وجلاء : إن قيمة العفة عند الحرائر أسمى وأولى بالطلب والحرص والحفاظ من قيمة المال أو الطعام الذي تحصل عليه المرضعة أجرًا على إرضاعها أولاد غيرها.

وموقف خالد بن الوليد القائد الإسلامي المعروف بعد أن عزله¹ عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي الثاني له من قيادة الجيش في موقعة اليرموك، صورة مشرقة لنظرية القيم، فقد جاء أنصاره غداة عزله يتحدثون إليه عن شجاعته وبطولته وحسن بلائه، ويستنكرون رضاه بما حدث له، ويحرضونه على عصيان أمر الخليفة، ويعدونه بأنهم سيكونون معه.. فيأبى

1. سيرة بن هشام، ج 4، ص. 14، تاريخ الإسلام لابن الأثير، ص. 95.

عقل خالد الراشد، وإيمانه الوثيق، وإخلاصه العميق لديه، وإدراكه السليم لقيمة الجهاد في سبيل الله - يأبى خالد أن يشق عصا الطاعة على أمير المؤمنين.. ويرضى بأن يبقى جندياً من عرض الناس يقاتل في جيش المسلمين تحت قيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح.. ويقول قولته المشهورة التي ذهبت مثلاً رائعاً حقيقياً وواقعياً على نظرية القيم : (أنا لا أقاتل في سبيل عمر ولكن في سبيل رب عمر)¹.

وللقاضي الجرجاني قصيدة ميمية معروفة، كانت مقررة للتدريس والحفظ على عهدنا الغابر.. وهو يتحدث فيها عن كرامة العلم ومكانة العلماء الرفيعة، وعن عزة النفس وإباء الضمير، ومن بين أبياتها الروائع بيت يحمل معنى (نظرية القيم) ويصورها أيضاً، فهو يقول :

إذا قيل هذا منهل قلت : قد أرى ولكن نفس الحر تحمل الظماً

ويزيد هذا المعنى القيمي تصويراً وتفسيراً بقوله :

ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدماً
أشقى به غرساً وأنيه ذله إذن فاتباع الجهل قد كان احزماً

إن القاضي الجرجاني في قصيدته هذه يرى أن "قيمة" عزة النفس وكرامة العلم أكبر وأجدر بالحفاظ عليها من "قيمة" الماء يطلبه لظمئه إذا كان لا ينال إلاّ بذلة وهوان، أو في أي صورة أخرى من صورة النفاق والتقرب إلى الأمراء والكبراء، وليس (الماء) مقصوداً على الحقيقة وإنما ضربة مثلاً لأهم ما يحتاجه الحي فكيف بما هو دونه ضرورة واحتياجاً من مطالب الدنيا واحتياجات الحياة ؟

١. المرجع نفسه.

وكما عبّر الجرجاني عن نظرية (القيم) بمسلكه في اعتزازه بنفسه، وفي إبائه على علمه أن يتذلل في خدمة الكبراء والأمراء، وفي تصويره لهذا المعنى السلوكي الكبير باحتمال الظمأ دون التماس الماء الراوي على مذلة وهوان - كما فعل الجرجاني ذلك فعل من قبله الشاعر العربي الشنفرى فقال عن نفسه :

واستف ترب الأرض كي لا يرى له عل من الطول امرئ متطول
وهكذا يصوّر الفكر العربي الإسلامي نظرية (القيم) في أروع صورها خلقية علمية.

فالقائد المجاهد المخلص يقاتل في سبيل الله، لا في سبيل الحاكم أو الخليفة أو أمير المؤمنين، والمرأة الحرة تجوع ولا تأكل من تأجير ثديها، والعالم الكريم يرتفع بنفسه ويعلمه الذي شقي في بذره وغرسه : إن يجنيه ذلة وهواناً، ويستف العزيز الأبي تراب الأرض ولا يطلب طعاماً يتطول به المطعم عليه.

ولحاتم الطائي قصيدة رائية ترويهما الألسنة وتشدو بها الإذاعات بأصوات المغنين - يقول فيها :

أماوي أن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوي أن يصبح صداي بقفرة من الأرض لا ماء هناك ولا زهر
ترى أن أنفقت لم يك ضرني وإن يدي ممّا بخلت به صفر

في هذه الأبيات الثلاثة تتجلى نظرية القيم بأجلى وأجمل صورها ومعانيها، فسلوك حاتم الطائي في طريق الكرم ذلك السلوك الذي يضرب به المثل، وتروى عنه القصص : كان نتيجة لتصوره أن المال غاد ورائح،

وأن ما يبقى ويخلد : هو الذكر الحسن والسمعة الطيبة.. وقد صور في البيتين الأخيرين أدق تصوير حالة الإنسان بعد موته حيث لا يضره ما أنفق في سبيل البر والخير، ولا ينفعه ما بخل به انتهى إلى حفرة من الأرض، وودعه أهله وولده وذوو قرباه، فرحين بميراثه الذي بخل به في حياته.. ويصف حاتم القفرة.. أي "القبر" بأنها قفراء لا ينبت فيها زهر ولا يجري عليها ماء، ترويعاً في تمثيل المصير.

هذه خمسة أمثلة روائع وصور حسان لنظرية (القيم) الحديثة في علم النفس - كان العرب والمسلمون بها وبأمثالها الكثيرة سابقين (لبير) في تقرير (قيمة) السلوك الإنساني نتيجة للعللة الباعثة إلى اختيار هذا المسلك أو ذاك.

وفي مجال التحليل النفسي

لقد عرف "سيجمند فرويد" بأنه أبو التحليل النفسي¹. والتحليل النفسي هو معالجة مرضى العصاب عن طريق محادثتهم، وإرخاء العنان لهم في هذه المحادثة أو إعطائهم الحرية التامة في الحديث من أجل استخراج الدفينة في أعماق نفوسهم، حتى يتبين للمحلل النفسي سر العلة العصبية التي يشكو منها المريض.. كقسوة الأب مثلاً أو عنف الأم في تربية أو معاملته عندما كان طفلاً أو حدثاً، أو خيبة أمل المريضة في الزواج. بمن كان فتى أحلامها، أو نكد الحياة الزوجية التي كان يعيشها الأبوان إلى غير ذلك من أسرار نفسية يكتُمها المريض في صدره حياء أو خوفاً.. فتنشأ عنها العلل العصبية التي تعي معالجتها أطباء الأجسام.

1. عاش فرويد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

ولكن سيجمند فرويد.. هذا الذي يعدونه أبا للتحليل النفسي قد سبقه إلى فكرة هذا التحليل وإلى ممارسته عملياً الطبيب العربي "الحارث بن كلدة" الذي عاش في الجاهلية قبل الإسلام وهو من مدينة الطائف المصيف الحجازي المعروف.

فقد روى الأصمعي أنه : كان فتى من ثقيف، شديد الحياء، كريم الأدب فوجئ أهله بمرضه ونحول جسمه، فالتمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه شيئاً ولم يعرفوا له علة.. وعندما أعياهم أمره، واشتد سقمه سلّمه أهله إلى الحارث بن كلدة.

ونظر الحارث إلى الفتى نظرة الطبيب الفاحص، فلم يجد به داء يذكر فظنه عاشقاً وطلب من أهله أن يخلو به.. وفي خلوته بالفتى سأله عن حقيقة أمره، فأبى أن يعترف له بشيء فجعل الحارث يسأله عن أسماء رجال قومه وأسماء نسائهم، وهو ينظر إلى وجهه حتى جاء اسم زوجة أخيه، فارتاح الفتى وتنفس الصعداء وأدمعت عيناه.. وهنا عرف الحارث سر مرض الفتى واكتشف علته، فأفضى بها إلى أهله. ووافق أخوه أن يطلق زوجته ليتزوجها بعده، ولكن حياء الفتى منعه من ذلك، ودفعه إلى الهجرة عن أهله وبلده.

ولا يفوتنا، ونحن نذكر قصة الفتى الثقيفي الذي أحب زوجة أخيه وأصابه ما أصابه من مرض عصبي ونفسي بسبب كتمانته وحرمانه، لا يفوتنا أن نشير إلى الأدب الإسلامي الذي شرعه الرسول الكريم ﷺ في بعض أحاديثه لحماية الأسرة من عواقب الصلات والعلاقات المحرمة المؤثرة، فقد حذر عليه الصلاة والسلام من سفور المرأة واختلاطها بغير محارمها، وأكد التحذير من أخ الزوج وقال عنه : أنه هو الموت¹!

1. الحديث رواه الشيخان ويراجع كتابنا "دين ودولة" الفصل الرابع، ص. 257.

فكيف بالأجانب الذين تختلط بهم الزوجات في صورة زيارات متبادلة بين الأسر؟ تتكشف فيها مواطن الفتنة من المرأة ومباعث الاشتها منها، أو اجتماعات عامة على شواطئ البحر وزوايا المقاهي والمنزهات؟

وفي مجال الاقتصاد والتجارة

إن ابن خلدون - مثلاً - سبق المدارس الاقتصادية الحديثة التي تدعو إلى حرية التداول التجاري، وعدم إغال الدولة في التدخل والتسلط والتوجيه، وعدم الإسراف في فرض الضرائب، فهو يقول: إن من واجب الدولة أن تتأكد من الضرائب لا تثمر إذا هي فرضت فرضاً تعسفياً، وإن الضرائب المعتدلة أعظم حافر على العمل.

ثم يتحدث ابن خلدون بإسهاب - عن المصادرة والاحتكار، وعن إشراف الدولة على شؤون التجارة. حتى ينتهي إلى القول: بأن الدولة إنما تقوم على الشعب وعلى روح الإقدام والمغامرة التي يتحلى بها، وعلى مدى إنتاجه للاقتصاد والتجارة، وتسبب نقصاً في الثروة وضعفاً في الإنتاج.

وهذا ما حدث ويحدث فعلاً في تجارب المذاهب الاقتصادية الجديدة من شيوعية واشتراكية. إذ تنقص الثروة ويضعف الإنتاج في الدولة التي طبقت تعاليم ماركس الشيوعية وأحالت المرافق الاقتصادية من تجارة وصناعة وزراعة إلى مؤسسات حكومية¹.

وفي مجال التشريع

صدر قبل شهور معدودة كتاب للدكتور بيران وولف سمّاه (أفضل سنوات المرأة) وتحدث فيه عن الطلاق، واقترح أن تبذل محاولة للشورى

1. تراجع محاضرة (عبقريّة الاقتصاد الإسلامي) ص. 23.

والتوجيه بين أهل الزوجين قبل إقدام الرجل على توقيع الطلاق، أو قبل عزم المرأة على طلب الانفكاك من زوجها. ويرى الكاتب الغربي أن يكون الذي يتدخل بين الزوجين المقبلين على الفراق خبيراً مختكاً، أو صديقاً للطرفين أو رجلاً من رجال الدين أو محامياً أو عالماً نفسياً. فإذا رأى بعد ذلك أنه لا جدوى أو لا مصلحة في استمرار الحياة الزوجية بينهما فإن الطلاق عندئذ يكون هو الدواء الشافي والحل الوحيد.

ونحن المسلمين نجد تشريعنا الإسلامي قد سبق إلى هذا الرأي الإصلاحى منذ أربعة عشر قرناً : إذ شرع لنا هذا المنهج الاجتماعى فى آيتين من سورة النساء فى القرآن الكريم أحدهما تقول : «وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدًا إصلاحًا يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً». والثانية تقول : «وإن يتفرقا يُغن الله كلاً من سعته وكان الله واسعاً حكيمًا»¹.

إن الدكتور بيران وولف يرى نفس الرأي الذى نزل به القرآن الكريم ووجه به الناس إلى بذل محاولة مخلصه فى سبيل التوفيق بين الأزواج المتنازعين، قبل إيقاع الطلاق أو ما يترتب عليه من تشريد الأطفال، وتأيم نساء².

وفى مجال الحكم والسياسة

ويؤيد رأينا فى هذا السبق الإسلامى إلى نظرية العهد الاجتماعى ما تواتر من أحاديث الرسول وآثار الصحابة وقواعد البيعة. من أن (السمع

1. سورة النساء، الآيات 35، 130.

2. تراجع محاضرة (عبقريّة الاقتصاد الإسلامى) ص. 79.

والطاعة) من المحكوم للحاكم إنّما هو (في المعروف). وما يشترط الناس على الحاكم حين مبايعته : أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله.

وفي أول خطبة لأبي بكر رضي الله عنه، بعد مبايعته بالخلافة : (أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم)، وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خطب الناس بعد توليه الخلافة، فقال : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ فِيْ عَوْجًا فَلْيَقْوَمْ).

فبذلك يتضح أن (الحكم) في الإسلام عقد اجتماعي يتم بين الحكومة والأمة، على أن تكون طاعة الأمة رهناً بقيام الحكومة على العدالة والمعروف.

وقد أثنى "هنري لاووست" في كتابه (المدخل إلى دراسة الدين الإسلامي) على هذه الواقعية السياسية في نظام الحكم الإسلامي، التي تأمر - على حد تعبيره - بطاعة السلطات الحاكمة ما دامت لا تأمر بعصيان الله ورسوله : "إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"¹.

وفي مجال التخطيط العمراني

تظن أجيالنا الناشئة أو الصاعدة أن ما يسمونه "تخطيط المدن" من مبتدعات العصر الحديث، وأنه من ابتكارات الحضارة الغربية العصرية، ويعتذر لهم عن خطأ هذا الظن بعض الكتاب فيزعمون بأن تاريخنا الإسلامي لم يكتب بعد، حتّى يقرأه الجيل الصاعد، ويعلم به ما جهل من سوابقنا الحضارية..

إن تخطيط المدن.. الذي يعني تنظيم العمارات والشوارع والطرق والميادين والحدائق العامة - قد عرفته عهود الصحابة رضي الله عنهم كما

1. تراجع محاضرة (مهمة الحاكم المسلم) في هذا الكتاب.

يروى القاضي أبو يعلى في كتابه (الأحكام السلطانية) إذ يقول : لقد مصر الصحابة البصرة على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجعلوها خططاً لقبائل أهلها، وجعلوا عرض الشارع الأعظم ستين ذراعاً، وجعلوا عرض ما سواه عشرين ذراعاً، وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لربط خيلهم.

ويلاحظ أن الرحبة الفسيحة التي يذكرها أبو يعلى في تخطيط البصرة هي (الميدان) في تخطيطنا الحديث، وهو ما يخصّ جزء منه موقفاً للسيارات وما بقي مداراً لحركة المرور.

وكذلك فعل عمرو بن العاص - حاكم مصر - عندما أنشأ مدينة الفسطاط، فقد أحسن تخطيطها، وتنظيم طرقها وشوارعها ومنازل القبائل فيها¹.

ويتحدث الأستاذ حيدر بامات في كتابه (دور المسلمين في بناء المدينة الغربية) عن الهندسة المعمارية الإسلامية التي اقتبس الغربيون جمالها ونسقها العربي ويشير إلى مدينة الزهراء التي بناها "عبد الرحمن الناصر" في الأندلس، وإلى قصر الحمراء بها.

ويقول إن الفن الإسلامي المقدس الذي يتجلى في المساجد هو الذي يشهد بعظمة الماضي الإسلامي، وجلاله في مضمار الهندسة المعمارية، ويؤكد في نفس الوقت تأثير الفن العربي على الفن الإيطالي نتيجة لإقامة العرب في صقلية، ويشير الأستاذ بامات إلى اقتباس من الهندسة والزخرفة الإسلاميتين في كنائس بعض دول أوروبا.

1. انظر مجلة الفكر الإسلامي العدد 13، ص. 14.

وفي مجال الطب والصحة

وننتقل الآن إلى ميدان آخر : ميدان الطب العربي وسوابقه حيث نجد الشباب العربي الإسلامي لا يكتفي بإهماله مطالعة صفحات التاريخ الإسلامي عن سوابق المسلمين الطبية - بل يضيف إلى جهله بحضارة الإسلام إنكاراً لها واستهزاءً بها، ويخوض في حديث الطب العربي القديم، فيقف منه ذلك الموقف الذميم حيث يصفه بالتخريف والشعوذة.

لقد كان (الطب) خلال القرون الأولى بعد الهجرة النبوية جزءاً لا يتجزأ من الثقافة العربية الإسلامية العامة.. وظهرت مؤلفات عربية طبية، وقام الأطباء المسلمون بدور فعال في تقديم العلوم الطبية لدى الغرب إذ ظلت كتب الرازي - وابن سينا - وأبي القيس - وابن زهر : أساساً للدراسات الطبية في المدارس الغربية خلال قرون عديدة. ومن أوسع المؤلفات الطبية العربية وأشهرها كتاب "الحاوي" وكتاب "المنصوري" للرازي، وكتاب "القانون" في الطب لابن سينا، الذي اشتهر بالعربية في روما في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، واتخذ أساساً لتدريس الطب في جامعات فرنسا وإيطاليا خلال ستة قرون كاملة.

وقد تحدّث الرازي في كتاب "الحاوي" عن الحميات الطفحية، كالجدري، والحصبة. واستحدث الرازي في الصيدلة استعمال المسهلات الخفيفة، والحجامة في حالات الفالج، والماء البارد في حالات الحمى المستعصية، ولقطع نزيف الدم، واستعمال الكاويات والفتائل.

كما تحدّث ابن سينا في كتاب "القانون" عن علم وظائف الأعضاء وعلم الصحة وعلم الأمراض وعلم المواد الطبية، وألف ابن سينا - أيضاً -

كتاباً في علاجات أمراض القلب، ونظم قصائد في الطب وبلغت علاجاته الطبية "760" علاجاً.

ويعترف العالم الفيزيولوجي "هالتر" بأن أبا القاسم خلف بن عباس القرطبي كان أهم جراح عربي، وكانت مؤلفاته مصدراً ومرجعاً لجميع الجراحين الذين ظهروا بعد القرن الرابع عشر.

ويقول جوستاف لوبون - في كتابه حضارة العرب - إن مدرسة سالون أول مدرسة في أوروبا : مدينة بكثير من شهرتها للطب العربي.

وقد سبق المسلمون إلى الطب الوقائي الذي كان معروفاً - يومذاك - بعلم الصحة وهو علم يبحث في طرق الوقاية من الأمراض قبل حدوثها، كما سبقوا إلى تدريس الطب في المستشفيات نفسها التي كانت ملاجئ للمرضى ومجالس للدراسة الطبية معاً، فكان الطلاب يدرسون الطب بالقرب من أسرة المرضى أكثر مما يدرسونه في الكتب.

وهذا ما يتبع الآن في تدريس الطب الحديث، حيث يقضي الطلاب بعد خروجه من الكلية عاماً في بعض المستشفيات للتمرس على شؤون الفحص وطرق العلاج، إلى جانب الأطباء السابقين المتفوقين، وقرىباً من المرضى الذين يعالجونهم.

وهذا ما يجري عليه الطب الحديث - اليوم - حيث تقوم المستشفيات الخاصة لكل صنف من المرضى : كمرض السل، والجنون، والعيون.. إلخ. وكما نرى ونسمع الآن عن المستشفيات المتنقلة أو السيارة التي ترسل إلى القرى والمدن النائية لمعالجة مرضاها.

ولم يجهل العرب تأثير الجو الصحي في شفاء بعض الأمراض.. من ذلك ما نصّ عليه ابن رشد في "كلياته" من تأثير الإقليم في داء السل، فأوصى

المسلمون بقضاء فصل الشتاء في بلاد الغرب، أو بلاد النوبة، وكذلك يفعل الأطباء اليوم إذ يختارون لإقامة مصحات السل الأماكن الصحية المناسبة، وللأمراض العقلية والعصبية أيضاً.

وحين عهد إلى الرازي أن يختار أفضل حي في بغداد لإقامة مستشفى عليه، لجأ إلى طريقة يعترف بها أصحاب نظرية الميكروب الحديثة، فقد علّق قطعة من اللحم في كل حي من أحياء بغداد، وأعلن أن أصلح مكان لبناء المستشفى فيه هو المكان الذي يتأخر فساد قطعة اللحم المعلقة فيه، عن القطع الأخرى.

ومّا أثبتته جوستاف لوبون عن الطب العربي قوله : إن الطب العربي القديم كان يعتمد كثيراً على علم الصحة - أي الطب الوقائي - الذي أسلفنا الإشارة إليه، وعلى المعالجة بالوسائل الطبيعية، ولن يكون أمر الطب المنتظر غير ذلك.

ولقد تحقّقت نبوءة جوستاف لوبون فعلاً، فقد بدأ الطب الحديث يلجأ إلى الوسائل الطبيعية لمعالجة كثير من الأمراض، كالصوم، والنوم، الأول لإراحة أجهزة الهضم وتبرئتها من عللها وسمومها المتراكمة من كثرة الأكل.. والثاني لتهدئة الأجهزة العصبية وتنقيتها من المؤثرات الخارجية والداخلية بالتدرج حتّى تعود طبيعية متزنة. وقد أنشئت مصحات لمعالجة المرضى بهذين العلاجين الطبيعيين "الصوم، والنوم" في كل من أوروبا وأمريكا، وقرأنا من أخبارها الكثير الممتع.

ومن المعترف به على ألسنة المؤرخين الفرنجة العصريين أن نسبة الوفيات على أيدي الأطباء العرب في القرن العاشر الميلادي أقل منها على أيدي أطباء القرن التاسع عشر.

ومن مآثورات الطب العربي - في علم الصحة أو الطب الوقائي كما نسميه الآن - ما قاله طبيب عربي في القرن التاسع الميلادي : "ولا شيء يضر بصحة الشيخ مثل الطاهي الماهر والفتاة الحسناء".

كما نقل عن الحارث بن كلدة الطبيب العربي أنه قال : "المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء. وعودوا كل جسم ما اعتاد".

ومن المناسب أن نضيف هنا : أن جماع الطب الوقائي هو قوله عليه الصلاة والسلام : "نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع". والحديث النبوي الآخر : "ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه"، ونذكر إلى جانب ذلك قول الشاعر العربي : "ثلاث مهلكات للأنام" حيث جعل إحدى هذه المهلكات الثلاث : "إدخال الطعام على الطعام".

ومن الغرائب.. بل من المصائب التي حلت بالمسلمين في سنواتهم الأخيرة تقليدهم لمظاهر الحضارة الغربية تقليداً أعمى.. فأرسل شباهم الذكور شعورهم كالإناث، وقصّ شباهم الإناث شعورهن كالذكور. واستوى الجنسان في ارتداء البناتيل الضيقة والقمصان الملونة.. وأطالوا أظافرهم بصورة تجعلهم كالوحوش والطيور الكاسرة.. وظنّوا ذلك زينة وجمالاً وتمدناً يجعلهم والغريين والغربيات على قدم المساواة!

وتأتي منظمة الصحة العالمية سنة 1975م، فتعلن لها (يوماً) وتجعل ليومها شعاراً : قص الأظافر وتنظيفها..

وهكذا : بضاعتنا ترد إلينا، ونحن غافلون، أو بها جاهلون، بل لها مرخصون..

إن (النظافة) في سائر جسد المسلم والمسلمة واجب إسلامي.. شرّع لتحقيقه الوضوء خمس مرات يومياً، كما شرّع له الاغتسال أسبوعياً على الأقل، وربما أكثر من مرة حين تدعو الحاجة، وما أكثر ما تدعو.

كما شرّع الإسلام لتحقيق واجب النظافة : تقليم الأظافر لما يتراكم تحتها من أقذار وأوضار وميكروبات تنقل العلل من اليد إلى الفم إلى المعدة. ولمظهرها البشع - إذا طالت - الذي يشبه مظهر الوحوش والطيور الكاسرة.

وقد كرّم الله الإنسان، فخلقه في أحسن تقويم، وأمره بالنظافة والزينة. ونبهه نبيّه صلى الله عليه وسلّم إلى : (أن الله نظيف يحب النظافة - جميل يحب الجمال).

ولو أن شبابنا العربي المسلم قرأ تاريخه لعرف أن المسلمين سبقوا ديكارت وأتباعه وطلابه - إلى نظريته التي يظنون أنها حديثة وأنها ابتكار غربي جديد.

ونحن المسلمين - لا نسمي هذه النظرية "مذهب الشك" كما سمّاها ديكارت وأتباعه والمتمدحون ببراعته - وبلاغته - وإنما نسميها "التوثيق"، ذلك المبدأ الذي أخذ به علماء الحديث النبوي لمعرفة حقيقة الرواة، والتثبت من نص الحديث المروي، والاستيثاق من حفظ الراوي وإتقانه وضبطه لما يرويه، وحسبنا أن نشير إلى قواعد الجرح والتعديل لنعرف مدى تمسك رواة السنة النبوية بمبدأ "التوثيق".

ولم يكتف المسلمون بمبدأ "التوثيق" في رواية الحديث النبوي وحده باعتباره الأصل الثاني للشرعية الإسلامية - بل تجاوزوه إلى كتابة التاريخ، فقارئ كتب التاريخ العربية يلاحظ أن المؤرخين المسلمين يثبتون الأحداث

والأخبار عن عدد من الرواة، كما هو الشأن في الحديث النبوي وإن كانت قواعد الجرح والتعديل لا تطبق كثيراً في رواية التاريخ، كما يلاحظ أن المؤرخين المسلمين يكتفون بتقرير الحقائق التاريخية دون أن يدخلوا فيها بأرائهم وأهوائهم، كما هو الحال في كتابة التاريخ عند الغربيين، الذين آخذوا المؤرخين العرب على نقلهم الأحوال التاريخية الموروثة إلى الأجيال التالية بدون نقد أو تعليق، واهتموهم لذلك بضيق الأفق والعجز عن النقد.

مع أن النظرية العربية في كتابة التاريخ هي الأصوب والأسلم من تداخل الآراء الخاصة في الأحداث والأخبار، مما يبتعد بالرواية عن مبدأ "التوثيق".

ولقد أيد النظرية العربية في كتابة التاريخ من المؤرخين الغربيين المحدثين (اكتون) و(كريتون) اللذان ناديا بعدم الإسراف في تفسير الحوادث - وأن يكتب التاريخ بطريقة موضوعية، مع مراعاة الأمانة في وصف الأحداث والبعد عن المبالغة والتهويل.

ومتماشياً مع مبدأ "التوثيق" في كتابة التاريخ دعا ابن خلدون إلى فحص الحقائق والتأكد من صحتها، وتمحيص الأسباب التي أنتجتها.

ومن مظاهر "التوثيق" التي سبق إليها المسلمون الإجازات التي كان العلماء يمنحونها لتلاميذهم للتدريس أو الفتيا أو زاوية الحديث، بعد الاستيثاق من أمانتهم ومقدرتهم وصلاحتهم.

وكما سبق المسلمون إلى مبدأ (التوثيق) الذي يطلقون عليه اليوم (الديكارتية) في تفسير القرآن ورواية الحديث النبوي وفي التاريخ - اتبعوا هذا المبدأ - أيضاً - في الاستعمالات اللغوية فقد راعى علماء اللغة العربية المسلمون عندما وضعوا أصولها وقواعدها ما راعاه علماء الحديث النبوي في

كثير من الأمور، ومن ذلك تقسيمهم إياها إلى متواتر وآحاد وعنوا بالمتواتر من لغة القرآن الكريم وما تواتر من السنة وكلام العرب، وكان هذا النوع هو الدليل القطعي واشتراطوا للتواتر أن يبلغ عدد النقلة حداً لا يجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب وأما غير المتواتر فهو ما تفرّد بنقله بعض أهل اللغة ولم يتحقق فيه شرط التواتر.

ونضرب بعض الأمثلة من أئمة التوثيق - في المناهج الفكرية والعلمية الإسلامية - فالإمام الغزالي حجة الإسلام يقول في كتابه (المنقذ من الضلال) أنه كان منذ شبابه في طلبه للعلم يتوغل في كل مظلمة، ويتهجم على كل مشكلة، ويتفحص عقيدة كل فرقة، ويكشف أسرار مذهب كل طائفة، ولا يغادر باطنياً ولا ظاهرياً ولا فلسفياً ولا متكلماً ولا صوفياً ولا متعبداً، ولا زندقياً إلا بعد أن يعرف دوافعهم ومعارفهم وأسرارهم وبراهينهم.

ويقول في كتابه (ميزان العمل) موجهاً نصيحته إلى طالب العلم : أطلب الحق بطريق النظر، ولا تكن في صورة أعمى مقلد، وإنما خذ الحق أينما وجدته. وكان شعار الغزالي في عمله الفكري : لا تعرف الحق بالرجال، بل اعرف الحق تعرف أهله.

إن الدكتور عمر فروخ يقول تعليقاً على موقف الغزالي في تحصيل العلوم، والتفقه في الدين عن طريق الشك الباحث في حقائق الأمور : إن هذا الموقف الذي وقفه الغزالي من الدين لا نجده عند معاصريه من الأوروبيين. ولا عند الذين جاعوا بعده فما كان بالإمكان أن يفترض مفكر أوروبي أن النصرانية لا تثبت صحتها إلاّ بالعقل، كما فرض الغزالي أن الإسلام الموروث عن الوالدين لا قيمة له ما لم يقيم في نفس كل مسلم مفكر برهان على صحته.

والمثال الثاني : هو الفيلسوف الإسلامي "ابن رشد" الذي بحث على النظر في الموجودات واعتبار ما تقتضيه منها شرائط البرهان، فما كان موافقاً للحق قبلناه، وما كان غير ذلك نبهنا إليه وحذرنا منه.

والمثال الثالث : أبو إسحاق النظام.. الذي يعتبر (الشك) أساساً للبحث ويقول : الشك أقرب إليك من الجاحد ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك، ولم ينتقل أحد من اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال "شك". أما "التجربة" فقد استخدمها النظام كما يستخدمها رجال الطبيعة والكيمياء اليوم في معاملهم، وأجريت تجاربه على الحيوانات والطيور والأفاعي لمعرفة تأثير الخمر عليها!

فأين يقف (ديكارت) ومذهبه في الشك.. أمام هذه الثروة الضخمة الفخمة من سوابق الفكر الإسلامي في مذهب التوثيق : شكاً فبحثاً فيقينا؟ ومن الشبهات والتهم التي يغالط بها شبابنا العربي المسلم، زعم بعض المستشرقين - أمثال كارادي فو - أنه لم يوجد في الشرق ذوق فطري للتعليم، ولا ميل للبحث عن المناهج العقلية، ولا رغبة في مسائل التربية، ولا اهتمام بأمر الطفولة.. إلخ...

ولإزالة هذه الشبهات من أذهان شبابنا، وأبطال هذه المزاعم نذكر بعض ما دافع به مفكرون وعلماءنا، ثم نشير إلى شيء يسير من حقائق السبق الإسلامي في مجال التربية والتعليم.

يقول الشيخ مصطفى عبد الرزاق : "إن المسلمين لم يتخلفوا عن غيرهم في ميدان التربية والتعليم، فقد كتب أئمتهم ومفكروهم في موضوع التربية والتعليم منذ القرون الأولى. وكانت لهم أنظار طريفة لم يخلق تطاول الزمن جدتها".

ويقول الدكتور أحمد فؤاد الأهواني في كتابه (التربية في الإسلام) : "لا نزاع في أن العرب قد بلغوا في القرون الأولى الإسلامية درجة عظيمة من الحضارة.. انتشرت من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ولا حضارة بغير علم، ولا عمل بغير تعليم، ولا تعليم بغير نظام معين يرتب الصلة بين المعلمين والتلاميذ، ويفصل المناهج وطرق التربية وسائر ما يتصل بالتعليم من أدوات".

إذن، فهناك تربية إسلامية، وتعليم إسلامي منذ القرون الأولى، بل هناك مؤلفات تربوية وضعها مفكرون إسلاميون أمثال ابن سحنون، والقابسي، والغزالي، وابن خلدون، وغيرهم، ولم يضعها المسيحيون العرب كما زعم المستشرق الفرنسي كارادي فو.

ويتحدث الدكتور الأهواني في كتابه عن رسالة (القابسي) في تعليم الأطفال، فيؤكد أنها من الحجج التي تذهب بالوهم الذي علق بالأذهان، وهو أن المسلمين لم يهتموا بتعليم الأطفال، وثبت أن المسلمين ابتكروا في التربية آراء جديدة لم يصطنعوها عن العرب المسيحيين، أو ينقلوها عن التراجم اليونانية واللاتينية..

ورسالة القابسي هذه ترفعه إلى قائمة قادة التربية، وتضعه في سجل المبرزين فهي ترسم منهجاً تربوياً رائعاً، يشمل واجب الآباء نحو أبنائهم - ومؤهلات المعلمين ومسؤولياتهم - وطرائق تعليم الأطفال - ومراقبة سلوكهم - وتحديد العقوبات التي ينبغي أن تترل بالمخالفين منهم مع النهي عن عقوبة الانتقام - وتعويد الأطفال على الاستقلال الشخصي - والرفق في معاملتهم. وقد دعا القابسي في رسالته إلى تعليم البنات في حدود طبيعتهن ووظيفتهن كما نادى (بالتعليم الإلزامي) فدل بذلك على تقدم الفكر الإسلامي التربوي، وعلى سبقه للحضارة العصرية.

وهناك سوابق تربوية وتعليمية في رسائل إخوان الصفا - وكتاب (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) لأحمد مسكويه، وفي كتاب (السياسة) لابن سينا - ومؤلفات الغزالي - وكتاب (تعليم المتعلم..) للزرنوجي - وفي مقدمة ابن خلدون الخ..

لقد سبق ابن سينا إلى القول بمسيرة ميول الطفل ثم توجيهه إلى الصناعة والمهنة التي تتفق مع ميوله فقد ألزم معلم الطفل أن يسير قريحته، ويزن طبعه، ويختبر ذكاه.. ثم يختار له الصناعة التي تتفق مع استعداداته. وهو رأي - كما يقول الدكتور الأهواني - من الآراء الحديثة في التربية وعلم النفس.

كما سبق الزرنوجي علماء التربية الحديثة إلى طريقة التكرار الموزع على عدة أيام لضبط المعلومات وتذكرها.

ونلاحظ - بصفة عامة - سبق القرآن الكريم إلى النظرية العلمية التجريبية التي ينسبونها إلى جون لوك الإنجليزي ثم لكوندياك الفرنسي، التي تعني : "إن معارف الإنسان هي نتيجة لخبرته وبجته وتجربته"، أي أن الإنسان يولد كصفحة بيضاء ثم يبدأ إحساسه بالمشاعر والمدرجات المختلفة فتتكون عنده المقدرة على الانتباه والتذكر والحكم. وهذا ما سبق إليه القرآن في قوله : «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيء. وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون» وهذه مصادر الخبرة والمعرفة والتجربة.

ويقول سيدوللو في كتابه (تاريخ العرب) : "اللي العلماء المسلمين يرجع الفضل في استخراج النهج العلمي ونقله إلى أوروبا في العصور الوسطى".

ويعترف سانكيز البرونز : أنه بينما كانت أوروبا في العصور المظلمة تنحدر في هوة البؤس والانحلال... كانت الحضارة الإسلامية تزدهر وتنتشر في إسبانيا، وتلعب دوراً فعالاً في تطوير العلم والفلسفة والأدب في أوروبا المسيحية، وقد تجلّى تأثيرها في عمالقة الفكر الأوروبي، في العصور الوسطى كما يبدو ذلك واضحاً في كتابات القديس توماس الإقويني، ودانتي.

أهمية التاريخ وتأثيره

هذه قطوف قليلة من مؤلفات الغربيين التي تفيض بالاعترافات والشهادات الصريحة عن روعة الحضارة الإسلامية ورفعتها وأثرها العميق الوثيق في حضارة أوروبا الفكرية والعلمية.

فهل يصحو شباب الإسلام على نداء تاريخهم المجيد، فيهبوا هبة قوية لمدارسه ومذكراته، والانفعال بأجماده، والتأثر بمنهاجه، وإحياء دفائنه، وإضاءة مشاعله ؟

ذلك أن لكل (تاريخ) مهمة ورسالة ودورا.. وعلى كل شعب واجباً نحو تاريخه الذي بدوره لن تكون له شخصية ممتازة وكيان سليم البنيان.

والشعوب العربية الإسلامية - اليوم - تائهة في دوامات الحضارة الغربية الحديثة ومتعها ولذائذها المادية الوقتية. ولا بد لشعوبنا التائهة من موعظة وذكرى تشدها إلى تاريخها الحافل بالجلال من كل فن وعلم وأدب... وبالروح فوق ذلك كله... الروح الذي بدأ الغرب يفتش عنه ويغزو كل خراب ودمار في حضارته إلى فقده... فقدان "الروح" في علوم هذه الحضارة وآدابها ومناهج العيش فيها.

يقول الأستاذ (علي بدو) في مجلة المعرفة السورية بأسباب البقاء والنماء :
 "إن شخصية الأمة لا يمكن أن تكون شخصية سليمة البنيان إلا إذا
 كان لها تاريخها الحي... يعيش فيها ويمدها".

أن تاريخنا العربي الإسلامي مدّون مكتوب، ومعرض بأحداث
 الأساليب : وأجلها وأوضحها أن على شبابنا بخاصة وشعوبنا عامة أن
 تعود إلى تاريخنا لتستمد منه القوة، وتنفعل بأجاده، وتهتدي بهديه.

إن أجهزة الإعلام ومناهج التعليم في البلاد العربية والإسلامية مسؤولة
 مسؤولية كبرى عن إقناع شبابنا بالرجوع إلى تاريخه والاعتزاز به، والتأثر
 بمثله ومبادئه، وأن يعيش فيه ويحيا به... ماضيا وحاضرا ومستقبلا.